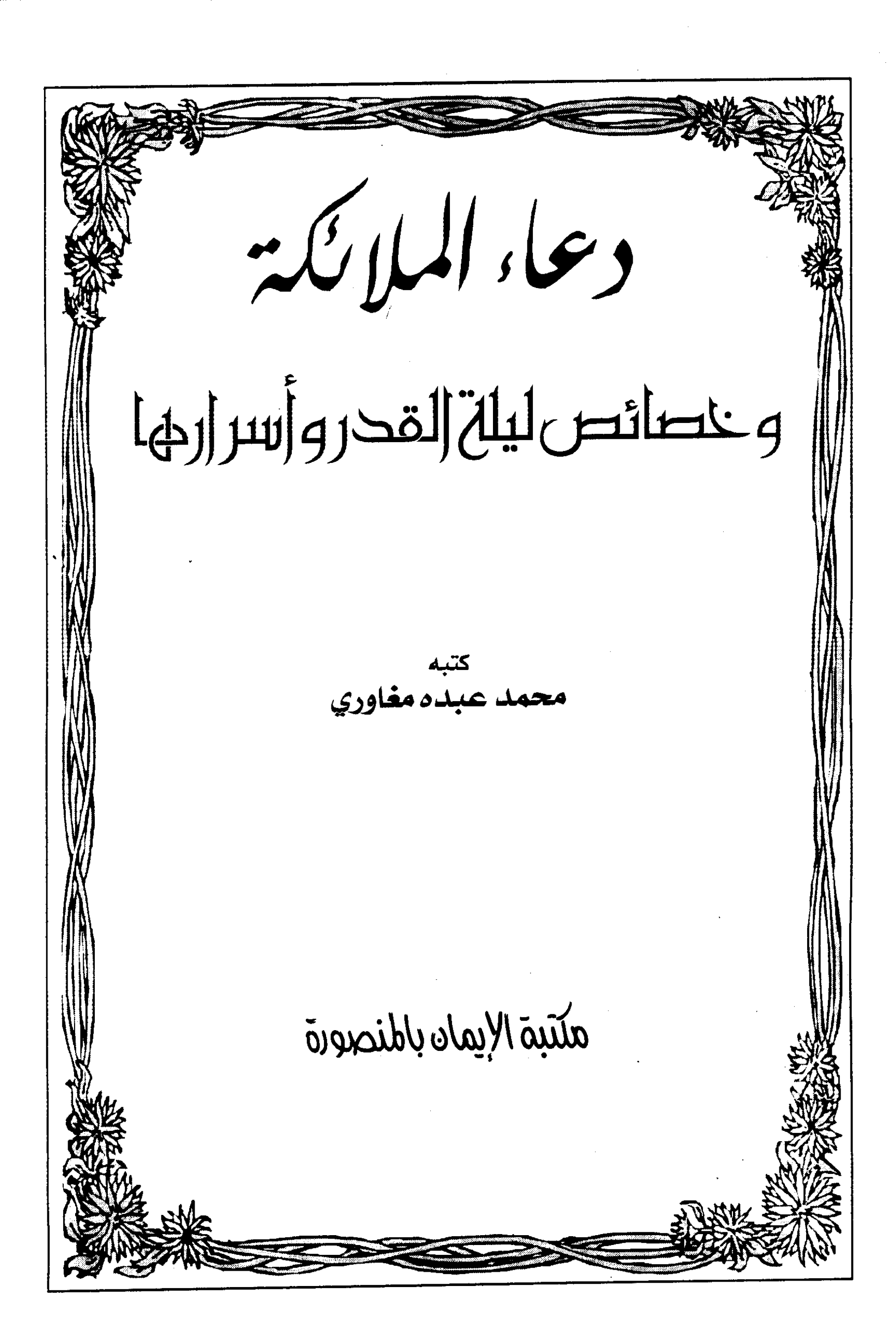
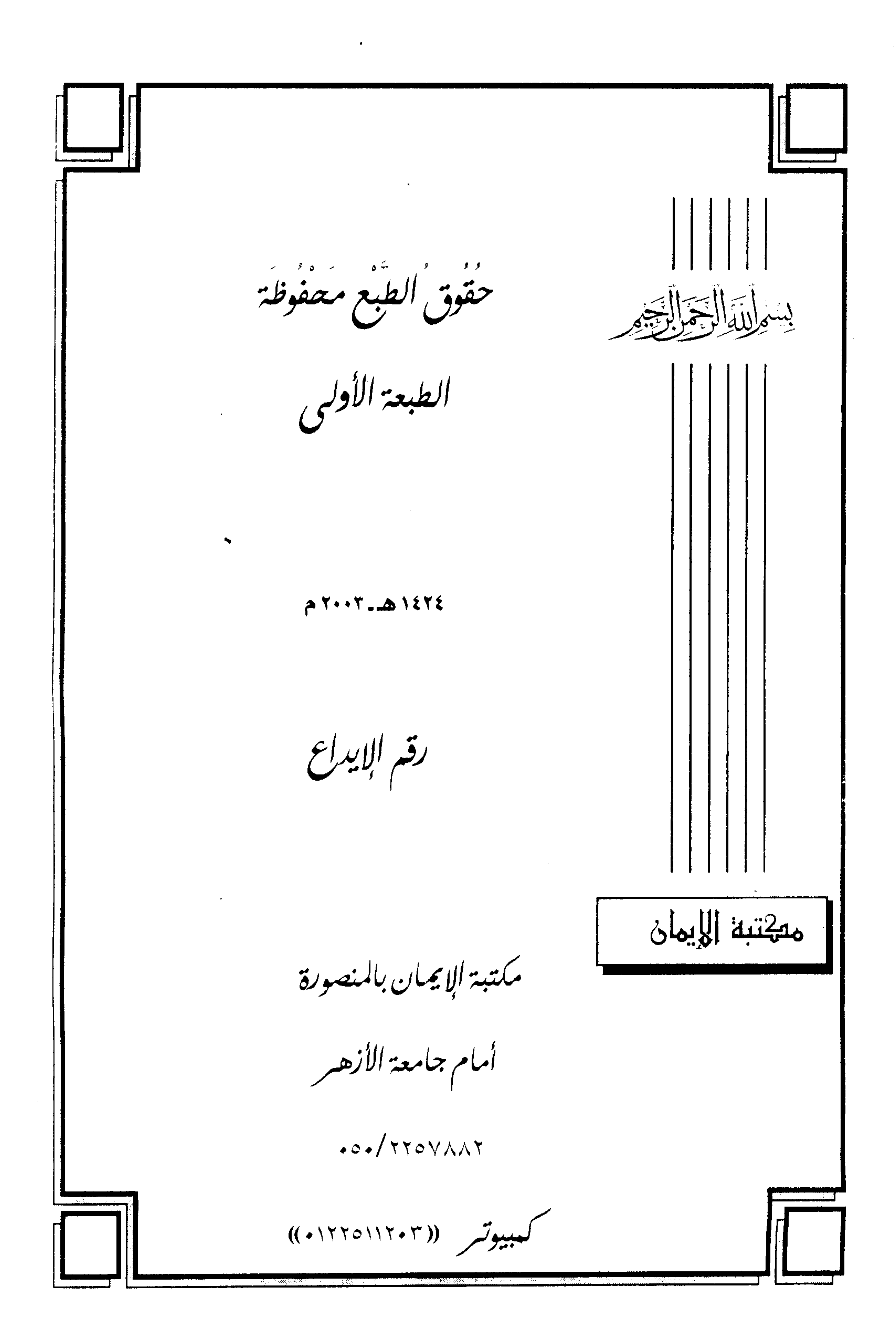


دعاء الملائكة

وخصائص ليلة القدر وأسرارها

كتبه
محمد عبده مغاوري

مكتبة الإيمان بالمنصورة



الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

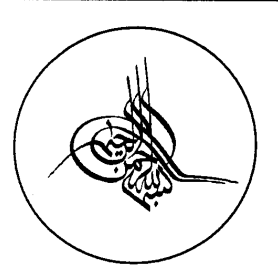
رقم الإيداع

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

كمبيوتر ((٠١٢٢٥١١٢٠٣))



المقدمة

إن الحمد لله ؛ الذي خلق الخلق بقدرته، وأوحى إلى من كان في الخلقِ صفوته، الكل خاضع لعظمته، مؤمن بقدرته، ندعوه خوفًا وطمعًا وحبًا للفوز برضاه وجنته.

يا من إليه جميع الخلق يبتهل .·. وكل حي على رحماه يتكل
يا من نادى فرأى ما في الغيوب .·. وما تحت الثرى وحِجَابُ الليل مُنسدل
يا من دنا فنأى عن أن تحيط به .·. الأفكار طُرًّا أو الأوهام والعلل
أنت الملاذ إذا ما أزمة شملت .·. وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل
أنت المنادى به في كل حادثة .·. أنت الإله وأنت الذخر والأمل
أنت الغياث لمن سُدَّتْ مذاهبه .·. أنت الدليل لمن ضلت به السبل
إنا قصدناك والآمال واقعة .·. وإن سطوت فأنت الحاكم العدل

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد سيد الخلق ولله حبه، أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليك يا سيد المرسلين، وسيد الأولين والآخرين، أنت وآل بيتك وأصحابك أجمعين .

يا آل بيت رسول الله حبكم ∴ فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم ∴ من لم يُصَلِّ عليكم لا صلاة له

أما بعد:

فالله... الله... على حلاوة الغفران، والله... الله... على من كُتبَ من أهل الجنان، والله... الله... على من فاز برضا الرحمٰن.

- **الكل يطمع بالفوز ولكن من الفائز؟!!**

وحتى نجيب على هذا السؤال بأمر الواحد العلام نقول:

الفوز في الدارين الدنيا والآخرة، أمر عظيم يتمناه كل إنسان، يسعى إليه أهل الإيمان، يتمناه أهل الإحسان، فما أجمل الفوز برضا العلي الرحمٰن.

لذا ؛ نجد الفوز وطريقه قد حدده لنا الشرع، ورسمه لنا رسول الله (ﷺ)، لمن أراد أن يسير عليه، ويُكتب من أهل الفوز والإيمان.

وسوف نمضي سويًّا لنقرأ ونتعلم جزءًا صغيرًا جدًّا من طريق النجاة

والفوز ورغم صغره إلا أننا لا نستطيع أن ننكر عظمته وقدره، هذا الجزء هو دعاء الملائكة وخصائص ليلة القدر وأسرارها، هذا الجزء ينبغي علينا أن ندرسه جيدًا ونعمل بكل كلمة فيه، فالدعاء أصل من أصول الدين الإسلامي له مكانته الخاصة والتى نراها في قول ربنا عز وجل: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾(١) ونرى أيضًا في سورة البقرة قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾(٢).

- **ويقول الدكتور فؤاد علي تعليقًا على الآية الأولى:**

الافتقار إلى الله الخالق أمر لا بد منه رغم ظاهر الغنى في كل شيء لأنك مفتقر إلى الموجود الذي أوجدك مفتقرٌ إلى الواجد الذي أمدك بأسباب الوجود ويملك نواحي الأمر كله بين الخير والنوال وعن حسن الثواب والنجاة من كل ذلك. لذلك فلا سبيل للإنسان أمام هذه الحقائق إلا باب الدعاء يلجُ «يدخل» منه إلى رحمة ربه فيدخلها وهى متاحة للناس كافة. فإن دعا ربه وهو مؤمن وبأشراط الدعاء كانت له االإجابة(٣).

---

(١) غافر: (٦٠).

(٢) البقرة: (١٨٦).

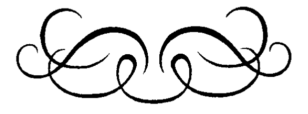
(٣) من علوم القرآن: (١٧٢).

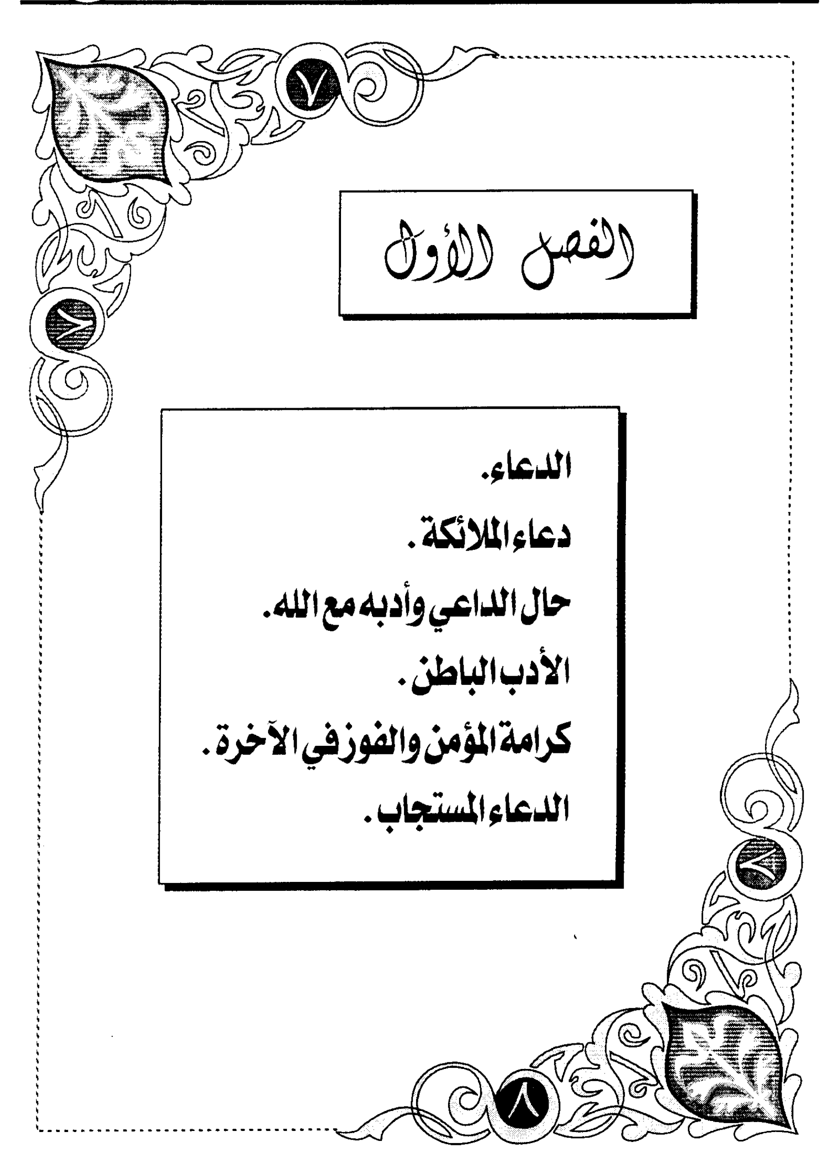
وهناك الكثير والكثير من الأدلة التى توضح عظم أمر الدعاء ولكن أكتفي بذلك في المقدمة، وأقول لنفسي ولكم ماكتبت هذا الكتاب إلا تذكرة لي ولكم بأمر عظيم هو الدعاء، والذي سنراه من خلال دعاء الملائكة الأبرار ثم نتطرق سويًا إلى المنحة الإلهية إلى اليوم العظيم الذي أُهدي إلى أمة محمد ﷺ حتى يفوز به الساعي وراءه.

هذه المنحة الإلهية هى ليلة القدر وبالطبع كلنا نعلم عنها بعض الأشياء كفضلها وقدرها ولكن هناك الكثير الذي لا نعلمه، وقد جمعته بأمر المولى عز وجل في هذا الكتاب، وأسأل الله وحده أن يرزقني وإياكم العلم والعمل بكل كلمة في هذا الكتاب، وأن يكتب لنا جميعًا الفوز في الدارين الدنيا والآخرة اللهم آمين.. آمين.. آمين .

المؤلف

محمد عبده مغاورى





الفصل الأول

الدعاء.

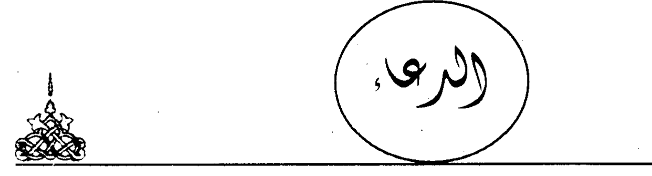
دعاء الملائكة.

حال الداعي وأدبه مع الله.

الأدب الباطن.

كرامة المؤمن والفوز في الآخرة.

الدعاء المستجاب.




الدعاء

الدعاء أمر عظيم، به يقترب العبد من ربه، ويرتقي في الدرجات العلى، وهناك من الأدلة الكثير والكثير، ذكرنا منها جزء في المقدمة ونذكر هنا حديث رسول الله (ﷺ).

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي أنا معه إذا دعاني**» [1].

وتعالوا بنا الآن لنقرأ هذا الحديث الجميل الذي يوضح لنا مدى عظمة الدعاء وحلاوته، وكيف أن المتمسك بالذكر والدعاء فائز، بل والساعي وراء الذكر والدعاء فائز، بل والحاضر لمواطن الذكر والدعاء فائز حتى وإن كان من أهل المعصية.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «**إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة ـ فُضُلاً ـ يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلي السماء.**

(١) الحديث رواه البخاري في الزهد: (٤/٥٩٦) حديث رقم: (٢٣٨٨) ورواه مسلم في باب فضل الذكر والدعاء: (٨/١٦) حديث رقم: (٦٧٠٣).

قال: فيسألهم الله ـ عز وجل ـ، وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟

فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك، ويحمدونك ويسألونك.

قال: وماذا يسألوني؟

قالوا: يسألونك جنتك.

قال: وهل رأوا جنتي؟

قالوا: لا. أيْ ربِّ.

قال: فكيف لو رأوا جنتي؟

قالوا: ويستجيرونك.

قال: ممَّ يستجيرونني؟

قالوا: من نارك: ياربِّ!

قال: وهل رأوا ناري؟

قالوا: لا.

قال: فكيف لو رأوا ناري؟

قالوا: ويستغفرونك.

قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا.

قال: فيقولون: رب! فيهم فلان عبدٌ خطاء إنما مر فجلس معهم.

قال: فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[(١)] .

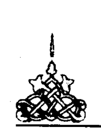
- **وبعد هذا الحديث الطيب المبارك عظيم النفع، نستطيع أن نقول:**

إن الذكر والدعـاء أمر جميل عظيم يـرفع صاحبه ويكتـبه من أهل الفوز والنجـاة، ولكن لنعلم جميـعًا أن للدعاء شـروطًا وله أوقات وله آداب خاصة تعالوا بنا لنراها سويًا في دعاء الملائكة الأبرار.



---

(١) انظر الفتح: (١١/ ٢٠٩)، ومسلم بشرح النووي: (٨/ ٢٠) حديث رقم (٦٧١٣).






قبل أن نذكر دعاء الملائكة ونرى آداب الدعاء تعالوا بنا لنقرأ سؤالين غاية في الأهمية رد عليهما العلامة الشوكاني ردًّا كافيًا شافيًا، السؤالين هما: ما أوقات الإجابة وأحوالها؟

ومَن الذين يستجاب دعائهم؟ وبم يستجاب؟

- **قال العلامة الشوكاني ردا على السؤال الأول: أوقات الإجابة هي:**
- ليلة القدر.
- يوم عرفة.
- شهر رمضان.
- وليلة الجمعة.
- ويوم الجمعة، وساعة الجمعة ـ وهي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة، والأقرب أنها عند قراءة الفاتحة حتى يُؤَمنَ.
- وجوف الليل ونصفه الثاني.
- وثلثه الأول، وثلثه الأخير.

- ووقت السحر.
- وعند النداء بالصلاة وبين الأذان والإقامة، وبين الحيعلتين للمجيب المكروب، وعند الإقامة.
- وعند الصف في سبيل الله.
- وعند التحام الحرب.
- ودبر الصلوات المكتوبات.
- وفي السجود.
- وعند تلاوة القرآن لاسيما الختم.
- وعند قول الإمام: (ولا الضالين).
- وعند شرب ماء زمزم.
- وصياح الديكة.
- واجتماع المسلمين.
- وفي مجالس الذكر.
- وعند تغميض الميت.
- وعند نزول الغيث.
- وعند الزوال في يوم الأربعاء.

• **ويقول العلامة الشوكاني ردًا على السؤال الثاني:**

الذين يستجاب دعاؤهم:

- المضطر والمظلوم مطلقًا، ولو كان فاجرًا أو كافرًا.
- والوالد على ولده.
- والإمام العادل.
- والرجل الصالح.
- والولد البار بوالديه.
- والمسافر.
- والصائم حين يفطر.
- والمسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب.
- والمسلم ما لم يدعُ بظلمٍ أو قطيعة رحم أو يقول دعوت فلم أجب.
- والتائب[1].

وأختم هذه المسألة بقصة جميلة جدًا قرأتها وسمعتها من أساتذتي وكان لها أثر كبير في منهجي، هذه القصة كانت مع العلامة إبراهيم

---

(١) تحفة الذاكرين: (٦٣- ٧١).

ابن أدهم ورأيت من خلالها لما لا يستجاب لدعوة بعض الناس، وحتى لا أطيل عليكم فإليكم نصها:

مر إبراهيم ابن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا: يا أبا إسحاق مالنا ندعوا فلا يستجاب لنا.

قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء.

الأول: أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه.

الثاني: زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ ثم تركتم سنته.

الثالث: قرأتم القرآن ولم تعملوا به.

الرابع: أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها.

الخامس: قلتم: إن الشيطان عدوكم ووافقتموه.

السادس: قلتم: إن الجنة الحق فلم تعملوا لها.

السابع: قلتم: إن النار حق ولم تهربوا منها.

الثامن: قلتم: إن الموت حق فلم تستعدوا له.

التاسع: انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس، وتركتم عيوبكم.

العاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

هذه القصة لها أثر كبير في نفسي، أردت أن أسوقها لكم، وأرجو

من الله أن نعتبر بها سويًا ونعمل على التخلص من هذه الأسباب العشر فنتلاشاها من حياتنا ونسارع على تحقيق ما يخالفها حتى يستجاب لدعائنا وأختم تلك المسألة بقول يحيى بن معاذ: من أقر لله بإساءته جاد الله عليه بمغفرته، ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله إلى جنته. ومن أخلص لله في دعوته مَنَّ الله عليه بإجابته.

وبعد هذا الكلام الطيب تعالوا بنا لنقرأ سويًا دعاء الملائكة، والذي جاء في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ*** ﴾[١].

هذا هو دعاء الملائكة، ربما قرأناه أكثر من مرة، ولكننا لم نتدبره جيدًا، لأننا لو تدبرناه وتمعنا في كل كلمة ما كان هذا حالنا ففي دعاء الملائكة نرى ثلاثة أمور هامة جدًا هذه الأمور الثلاثة هي:

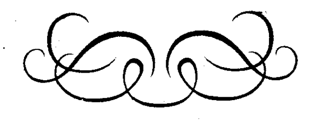
١ ـ حال الداعي وأدبه مع الله.

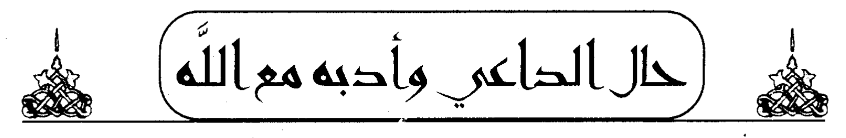
٢ ـ الأدب الباطن.

(١) غافر: (٧ - ٩).

٣ ـ كرامة المؤمن والفوز في الآخرة والإلحاق.

هذه هى الأمور الثلاثة التى يجب أن نراها في هذه الآيات حتى نفرح ونسارع إلى العمل بقلوب مؤمنة، وحتى لا أطيل عليكم هيا بنا سويًا نمضي لتفسير كل أمر راجين من الله العلم وقبول العمل الصالح.





حال الداعي وأدبه مع الله

الدعاء كما قلنا سابقًا له آداب وشروط، وعلى الداعي أن يلازم حال التسبيح و الذكر هذا ما قرأناه سويًا في الآية الأولى ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ** ﴾.

كلنا نعلم أن الملائكة دائمًا في حالة من الذكر، والطاعة، وهم دائمًا وأبدًا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهذه الآية ذكرت لنا التسبيح والإيمان لنعلم أن الدعاء لا بد وأن يخرج ممن لازم الذكر وكان حالة الإيمان وقد سبق وذكرنا ذلك في أول الفصل في الحديث الطويل «**إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة...**» إلى آخر الحديث.

ولو أننا تأملنا تلك الآية بفهم جيد لرأينا أن الملائكة أكثر مخلوقات الله تسبيحًا وتحميدًا وتكبيرًا، عندما قاموا بالدعاء قالوا: ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا**﴾ وهذا من آداب الدعاء، الثناء على الله وذلك تقديم جيد للدعاء، وهذا بالطبع من أسرار الدعاء.

الدعاء المستجاب لا بد أن يكون له تقديم جيد، بالذات إن كان للعلي القدير، واقرأوا معى تلك القصة ثم احكموا بعد ذلك.

طاوس والخليفة:

يحكى أن أحد الصالحين ويدعى طاوس دخل على هشام بن عبد الملك بن مروان خليفة المسلمين.

وقال له: السلام عليك يا هشام.

ثم دخل وخلع حذاءه وجلس فاغتاظ هشام بن عبد الملك، وصاح فيه قائلاً:

ياطاوس دخلت عليَّ فقلت السلام عليك يا هشام ولم تقل (يا أبا فلان) بكنيتي ولم تقل يا أمير المؤمنين، وخلعت حذاءك وجلست فلم هذا ياطاوس؟

فقال طاوس: دخلت فقلت السلام عليك يا هشام ولم أقل يا أبا فلان، لأن الله لم يُكني من يحب فقال تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ** ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال أيضًا: ﴿ **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾ [مريم: ٣٥] وقال الحق أيضًا: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ** ﴾ الأعراف: ١١٧] ولكن عندما ذكر من يكره قال: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ** ﴾ [المسد: ١] بكنيته فهذا شأن من يُكنى، فاستحى هشام منه لعلمه.

ثم استرسل طاوس وقال: ولم أقل يا أمير المؤمنين لأني لست

أعلم هل كل من آمن يرضى بإمارتك أم لا...؟

وخلعت حذائي وجلست... أهذا يغضبك؟!

إن كان هذا يغضبك فاعلم أني أخلع حذائي أمام الله في اليوم خمس مرات، الله... يا هذا!!

فبكى هشام بن عبد الملك، ورق قلبه وقال لطاوس: عظني يا طاوس.

فقال طاوس: «يا هشام إن في جهنم حيات كالجبال وعقارب كالتلال، وجنود لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون».

ومن هذه القصة نقول: إن التقديم بالثناء يكون لملوك الأرض، ألا نستحي ونقدمه لملك الملوك. حتى يستجاب لنا الدعاء، واقرءوا معي ذلك الحديث الجميل الذي يرشدنا إلى أهمية هذا الأمر الطيب المبارك.

عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام**»[1].

ومعنى كلمة (ألِظُّوا) بكسر اللام وتشديد الظاء المعجمة: أي الزموا هذه المقولة وأكثروا منها.

هذا وسوف أقول لكم: إننا عبيد ضعفاء لو نظرنا إلى مقاييس القوة لوجدنا أن أقوى ما في المرء لسانه كثير الصياح والضجيج، هذا

(١) الحديث رواه الترمذي، ورواه النسائي من رواية ربيع بن عامر الصحابي قال الحاكم: الحديث صحيح الإسناد.

إن ذكر الله وتنعم بإكثار الثناء على الواحد الديان قويّ الجسم بأكمله وعاش الإنسان في سعادة وأمن وكان مقبول الدعاء إن شاء الله.

وأرجو من الله لي ولكم أن نفعل كما فعل الملائكة فنقدم الثناء، ونعقب الثناء بالدعاء. فالملائكة هم القدوة، ونحن على خطاهم نسير راجين بذلك أن ننال الرضا من الرحمن الرحيم اللهم آمين.

وهناك قصة جميلة قرأتها في إحياء علوم الدين ورأيت من خلالها أدب المخلوقات في الدعاء هذه القصة هي:

خرج سليمان (عليه السلام) يستسقي «أي يطلب نزول الماء» فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا.

فقال سليمان (عليه السلام): «ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم»[1].

انظروا معي جيدًا في هذه القصة لنتعلم من هذه النملة أعظم الكلمات اقرءوا بتمعن شديد قولها: «اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك».

ما أجمل هذه الكلمات وأعظمها، بينت لنا فيها جمال الافتقار إلى الله، واللجوء إليه، وحلاوة الأدب في الدعاء وعظمته.

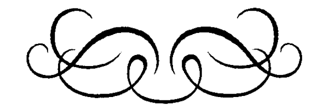
وأختم هذا الأمر أمر أدب الداعي وحاله بحديث طيب مبارك وهو.

---

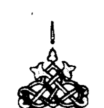
(١) إحياء علوم الدين: (١/ ٢٥٥).

عن ابن عباس (ﷺ)، كان النبي (ﷺ) إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيّوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحقُ ووعدُك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق اللهم لك أسلمتُ وعليك توكلتُ وبك آمنتُ وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ وإليك حاكمت، فاغفر لي ماقدَّمتُ وما أخرت وما أسررتُ وما أعلنت، أنت المقدِّمُ وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت**» (١).

في الحديث بيان لاختيار الوقت وهو وقت قيام الليل، وفيه الأدب والتقديم.



(١) انظر فتح الباري: (١١/١١٦).



الأدب الباطن



التقديم و الثناء السابق نوع من الأدب الظاهر أما الأدب الباطن فهو ما نراه في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ**﴾[1] من هنا نخرج بأمر عظيم وهو أن الملائكة الكرام يستغفرون لمن حافظ على الأدب الباطن.

- **ويقول العلامة الغزالي:**

الأدب الباطن هو الأصل في الإجابة «يقصد إجابة الدعاء» التوبة.

التوبة ورد المظالم والإقبال على الله ـ عز وجل ـ بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الإجابة .

- فيروى عن كعب الأحبار أنه قال: «أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله (ﷺ) فخرج موسى ببني إسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا.

فأوحى الله ـ عز وجل ـ إلى موسى (عليه السلام) أني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام.

(١) غافر الآية (٧) .

فقال موسى (عليه السلام): يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا؟

فأوحى الله - عز وجل - إليه يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نمامًا.

فقال موسى (عليه السلام) : لبني إسرائيل توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث».

• ويروى عن عطاء السلمي أنه قال:

«مُنِعْنا الغيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر، فنظر إليَّ فقال: يا عطاء أهذا يوم النشور؟ أوَبُعثر ما في القبور؟

فقلت «أي عطاء»: لا ولكنا مُنِعْنا الغيث فخرجنا نستسقي.

فقال: يا عطاء بقلوب أَرْضِيَّةٍ أم بقلوب سماوية؟

فقلت: بل قلوب سماوية.

فقال: هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير، ثم رمق السماء بطرفه وقال: إلهيَ وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك، ولكن بالسر المكنون من أسمائك، وماوارت الحجب من آلائك إلا ما سقيتنا ماءً غدقًا فراتًا تُحيي به العباد، وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير.

قال عطاء: فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القِرب فَوَلَّى وهو يقول:

أفلح الـزاهدون والعــابدونا ∴ إذ لمولاهـم أجـاعــوا البطـونا
أسـهـروا الأعين العليلة حبًّا ∴ فـانقـضى ليلهم وهم سـاهرونا
شـغلتـهم عــبـادة الله حـتى ∴ حـسب الناس أن فيــهم جنونا

ويروى أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) استسقى بالعباس (رضي الله عنه) فلما فرغ عمر من دعائه قـال العباس: «اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجـه بيّ القوم إليك لمكاني من نبيك (صلى الله عليه وسلم)، وهــذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصـينا بالتـوبة وأنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفـعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السـر وأخفى اللـهم فأغثـهم بغـياثك قـبل أن يقنطوا فيـهلكوا فـإنه لا ييأس من روح الله إلا القـوم الكافرون.

قال: فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال» (١).

من القـصص الثلاثة السـابقة نـرى أهميـة التوبة، وعظم أمرها. فالدعاء المستجاب يخرج من قلوب تائبة، ولعل ذلك ردًا على أغلب من يتعالى صياحه: لماذا لا يستجاب الدعاء ليّ؟!

والرد: لأن هناك خلل قـائم في قلبك، فقلبك لا يـعمر بالـتوبة الصادقة، ولسانك غير محافظ على الذكر لاه وتريد قبول الدعاء.

---

(١) إحياء علوم الدين: (١/ ٢٧٧ - ٢٧٨).

ويحضـرني هنا قول إبراهيم بن أدهم: «إنكم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجارة».

فإبراهيم بن أدهم يرى قومه يتمرغون في المعصية ويريدون استجابة الدعاء، حتى ينزل عليهم المطر، وهو يرى أن من رحمة الله بهم أنه لا يرسل عليهم حجارة من السماء بذنوبهم.

الله... الله... على التائبين... الله... الله... للذاكرين... الله... الله... على من يلزم الدعاء ولكن بقلب تائب نائب وفكر عامر بالإيمان كله ثقة في الرحمن وتوكل عظيم.

ولنعلم جميعًا أن التوبة الصادقة، سبب هام لقبول الدعاء، ولننظر إلى عِظم أمرها في حديث رسول الله (ﷺ) وهو:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده، حين يتوب إليه. من أحدكُم كان على راحلته بأرض فلاة. فانفلتت منه. وعليها طعامُهُ وشرابُهُ. فأيس منها. فأتى شجرة. فاضطجع في ظلها قد أَيس «انقطع أمله في إيجادها» من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده. فأخذ بخطامها. ثم قال من شدة الفرح: اللهم! أنت عبدي وأنا ربُّكَ. أخطأ من شدةِ الفرح**»[1].

ومن هذا الحديث نرى أهمية التوبة وعظم أمرها وأختم تلك المسألة بحديث رسول الله (ﷺ) عن عبد الله بن مسعود قال: قال

(١) لم يروه من أصحاب الكتب الستة سوى مسلم: (٨/ ٨٨).

رسول الله ﷺ: «ليس أحد أحب إليه المدحُ من الله ـ عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه. وليس أحدٌ أغْيَرَ من الله. من أجل ذلك حَرَّمَ الفواحش. وليس أحَدٌ أحَبَّ إليه العُذْرُ من الله. من أجل ذلك أنزل الكتاب و أرسل الرُّسُلَ»(١).

وفي هذا الحديث دليل على أهمية التقديم والثناء على المولى عز وجل وكذلك على أهمية التوبة.



(١) مسلم بشرح النووي: (٨/ ١١٠).



كرامة المؤمن والفوز في الآخرة والإلحاق

الآيات التي ذكرت لنا دعاء الملائكة أرجو أن نقرأها سويًا مرة أخرى، يقول ربنا ـ عز وجل ـ: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ﴾ (١) .

القارئ لهذه الآيات بتمعن شديد يجد لها حلاوة خاصة جدًا، هذه الحلاوة نجدها في هذه القصة الجميلة.

جاء في كتاب «الجامع لأحكام القرآن»:

قال خلف بن هشام البزار القارئ: كنت أقرأ على سليم بن عيسى فلما بلغت ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

بكى ثم قال: يا خلف! ما أكرم المؤمن على الله نائمًا على فراشه

---

(١) غافر الآيتان (٧ - ٨).

والملائكة يستغفرون له [١].

هـذه القـصة تبين لنا أن الفهم الجـيد للآية يشرح الصـدر ويجعله على نور وطمأنينة وذكر وحمد.

ومن الجميل أيضًـا أن يوضح لنا سعيد بن جبـير نقطة أخرى وهى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾.

يقول سعـيد: يدخل الرجل الجنة، فيقـول: يارب أين أبي وجدي وأمي؟! وأين ولدي وولد ولدي؟ وأين زوجاتي؟!

فيقال: إنهم لم يعملوا كعملك.

فيقول: يارب كنت أعمل لى ولهم.

فيقال: أدخلوهم الجنة [٢].

الله... الله... على هـذه الكلمـات وهـذا الشرح... الله... الله... على راحة الصدور التى تتحـقق عند قراءة القرآن... الله... الله... لكل من يسارع بالعمل الصـالح ويلتمس طريق الإيمان... الطريق الحق القائد إلى الدعاء المستجاب والنجاة إن شاء الله.

ويحضـرني هنا حديث أرجو أن نقـرأه سويًا بانتبـاه وتفهم ووعي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٥٩٤٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٥٩٤٣).

هـذا الحديث هو:

عن أبي سعيد الخدري قال: خَـرجَ معاوية على حلقةٍ في المسجد. فقال: ما أجلَسكُم؟

قالوا: جلسنا نذكر الله.

قال: آلله! ما أجلَسكُم إلا ذاك؟

قالوا: واللهِ! ماأجلسنا إلا ذاك.

قال: أمَا إنيِّ لمْ أستحلِفْكُم تهمَةً لكم. ومـا كان أحَدٌ بمنزلتي من رسـول الله ﷺ أقَلَّ عنه حديثًـا مني. وإن رسول الله ﷺ خـرج على حلقةٍ من أصحابه.

فقال: «**ما أجلَسَكُمْ؟**».

قالوا: جلسنا نذكـر الله ونحمده على مـا هدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا.

قال: «**آلله! ما أجلَسَكُمْ إلا ذاك؟**».

قالوا: واللهِ! ما أجلسنا إلا ذاك.

قال: «أمـا إني لم أستـحلفكم تُهْمَـة لكم. ولكنه أتاني جـبريل، فأخبرني، أن الله - عز وجل - يباهي بكم الملائكة»[1].

---

(٢) مـسلم بـشـرح النووي: (٨/ ٣٠ - ٣١) حـديث رقم:(٦٧٢٩)، والـتـرمـذي في الدعوات: (٥/ ٤٥٩) حديث رقم: (٣٣٧٩) و النسائي: (٨/ ٢٤٩).

هـذا هو حال المؤمن في الدنيا، يباهي به ربه الملائكة، وتستغفر له الملائكة، ثم هو يوم القيامة من الفائزين بأمر رب العالمين فما أجمل المسارعة إلى رحاب الله، وما أجمل عمار القلوب بالإيمان وما أعظم اتباع سبيل الله، والحرص على مرضاته، والبعد كل البعد عن معصيته، واقرءوا معي سويًا قول الشاعر:

لا تأسفن على الدنيا وما فيها ... فالموت لاشك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار يكن رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن عاليها
أرض لها ذهب والمسك طينها ... والزعفران حشيش نابت فيها
أنهار لبن محض ومن عسل ... والخمر يجري رحيقًا في مجاريها
والطير تجري علي الأغصان عاكفة ... تسبح الله جهرًا في مغانيها
أحمد دلالُها والربُّ بائعها ... وجبريلُ ينادي في نواحيها
مَنْ يشتري الدار في الفردوس يعمرها ... بركعة في ظلام الليل يحييها؟
أين الملوك التى عن حظها غفلت ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها؟
أفنى القرون وأفنى كل ذي عمر ... كذلك الموت يفني كل مَنْ فيها
والموتُ أحدق بالدنيا وزخرفها ... والناسُ في غفلة عن ترك ما فيها
لو أنها عَقلَتْ ماذا يراد بها؟ ... ما طاب عيش لها يومًا ويلهيها
تلهو وتأمل آمالاً تُسَرُّ بها ... شريعة الموت يطوينا ويطويها
والله لو قنعتْ نفسٌ بما رزقت ... من المعيشة إلا كان يكفيها
والله والله أيمانًا مكررة ... ثلاثة من يمين بعد ثانيها

لو أن في صخرة صمًا ململمة ... في البحر راسية ملس نواحيها
رزقًا لعبد يراه الله لانفلتت ... حتى تؤدي إليه كل ما فيها
أو كان تحت طباق السبع مسلكها ... لسهل الله في المرقى مراقيها
حتى ينال الذي في اللوح خط له ... فإن أتته وإلا سوف يأتيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها
تلك المنازل في الآفاق خاوية ... أضحت خرابًا وذاق الموت بانيها





الدعاء المستجاب



ذكرنا في شرحنا لدعاء الملائكة، العديد من الأمور الهامة، التى تقود المرء منا بأمر المولى - عز وجل - إلى الدعاء المستجاب هذه الأمور هى:

١) الداعي يلتمس اليوم والساعة والحالة، فما أجمل أن يخرج الدعاء والإنسان على حالة من الذكر وقدمنا لذلك العديد من الأحاديث.

٢) الصدق في الدعاء والتقرب إلى الله بالحمد والثناء ونرى ذلك في قول الشاعر:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن ... امنن فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك فقري أدفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رددت فأي باب أقرع

ومن ذا الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقير لا يمنع
حاشا لجودكَ أن تقنط عاصيًا الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبي وآله خير الأنام ومن به يتشفع

٣) الإيمان والمسارعة إلى الحنان المنان، فالعبد التائب المؤمن قريب من الله مستجاب لدعوته.

وأختم هذا الفصل بخطبة عظيمة المعاني، جميلة الكلمات، قالها الصديق ﷺ، لينصح بها أصحاب المصطفى ﷺ، وينصح نفسه، وما أجمل النصح عندما يخرج من أهله.

وأرجو من الله أن نفهم كل كلمة فيها ونحفظها جيدًا ونعمل بها في دنيانا عسى أن نكتب مع هؤلاء العمالقة الذين تربعوا في سماء الهدى والتقى والنور، وفازوا برضا الرحمن، فنجوا من الخسران والبوار.

عن عمرو بن دينار قال: «خطب أبو بكر الصديق ﷺ فقال: أوصيكم بتقوى الله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تستغفروه إنه كان غفارا، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وأن تخلصوا لله اليقين فيما بلغكم من كتابه، فإنه أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾(١)».

(١) الأنبياء الآية (٩٠).

واعلموا أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني، بالكثير الباقي. وهذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فصدقوا قول الله، وانتصحوا كتابه. واستضيئوا به ليوم الظلمة، فإنما خلقكم لعبادته، وأمركم بطاعته.

واعلموا أنكم تَغْدُون وتروحُون، في آجال قد غُيِّب عنكم علمها، فإن استطعتم أن ينقضي الأجل وأنتم في طاعة الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، وسابقوا في مَهَلٍ من آجالكم، من قبل أن تنقضي، فيكون قد أُسْلِمْتُم إلى سوء أعمالكم، فإن قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم، ونَسُوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، فالوحا الوحا، ثم النَّجاء النَّجاء، فإن من ورائكم طالبا حثيثًا، مَمَرُّه سريع.

واعلموا أنكم ما أخلصتم لله، فَربَّكم أطعتم وحَقَّكم حَفِظْتم، فأعطوا ضرائبكم في أيام سلفكم، واجعلوها نوافل بين أيديكم، كي تستوفوا سلفكم وضرائبكم، حين فقركم وحاجتكم.

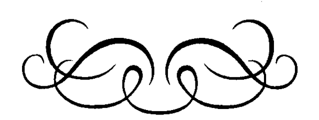
ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ وأين الجبَّارون الذين كان لهم ذكر القتال؟ وأين الذين كانوا يعطون الغَلَبَةَ في مواطن الحروب؟ قد ضعضع بهم الدهر، وصاروا رميمًا. وأين الملوك الذين أناروا الأرض وعَمَرُوها؟ قد نُسوا ونُسيَ ذكرهم، فهم اليوم كلا شيء. وأين الملوك الذين بنوا المدائن العظام، وحصنوها، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ فتلك بيوتهم خاويةٌ وهم في

ظلمات القبور ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ (١).

أين الوُضَّاءُ الحَسَنَةُ وجوههم المعجبون بشبابهم؟ قد صاروا رميمًا. وأين من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم؟ قد وردوا على ما قدموا فحلُّوا في الشقوة والسعادة.

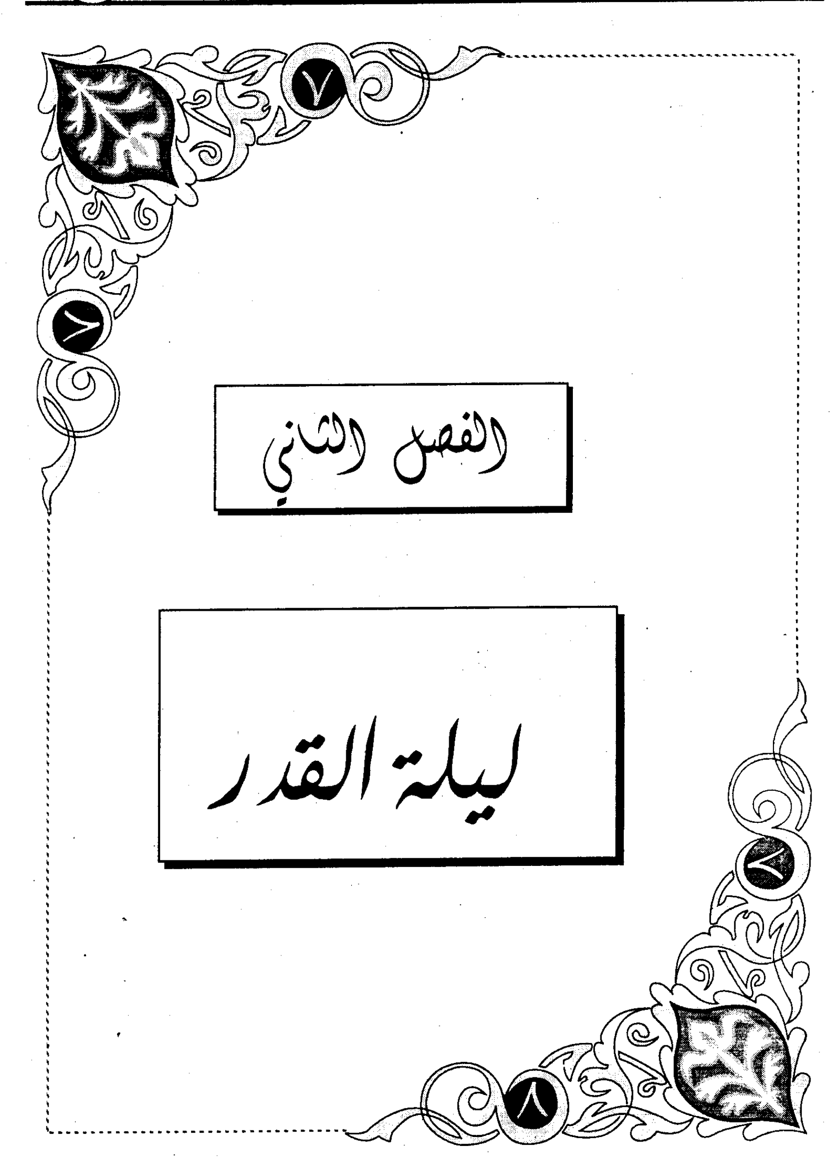
إن الله تبارك وتعالى، ليس بينه وبين أحد من خلقه نسبٌ يعطيه به خيرًا، ولا يصرف عنه به شرًا، إلا بطاعته واتباع أمره وإنه لا خير بخير بعدُه النار، ولا شر بشر بعدُه الجنة. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم(٢).

ما أجمل الكلمات ولكن الخير كل الخير فيمن علم وعمل.



(١) مريم الآية (٩٨).

(٢) الخطب والمواعظ لأبي عبيد القاسم بن سلام: (١٦ - ١٨٧ - ١٨٩).



الفصل الثاني

ليلة القدر

يقول ربنا - عز وجل - في كتابه الحكيم: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾[(١)].

وهناك العديد والعديد من أحاديث رسول الله (ﷺ) تخبر عن ليلة القدر وعظم شأنها أكتفي بذكر ثلاثة منها راجيًا النفع والثواب اللهم آمين.

١) عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله (ﷺ) يُجَاوِرُ في العشر التي في وسط الشهر فإذا كان من حين تمضي عشرون ليلةً، ويستقبل إحدى وعشرين، يرجع إلي مسكنه ورجع من كان يُجَاوِرُ معه. ثم إنه أقام في شهر، جاور فيه تلك الليلة التي كان يرجع فيها فخطب الناس وأمرهم بما شاء الله ثم قال: «**إني كنت أجاور هذه العشر ثم بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر فمن كان اعتكف معي فليبت في معتكفه وقد رأيت هذه الليلة فأنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر في كل وتر وقد رأيتني أسجد في ماء وطين**»[(٢)].

قال أبو سعيد الخدري: مُطرنا ليلة إحدى وعشرين فوكف المسجد في مصلى رسول الله ﷺ فنظرت إليه وقد انصرف من صلاة الصبح

(١) سورة القدر.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري حديث رقم: (٢٠١٦) ومسلم بشرح النووي حديث رقم: (٢٧٢٣)، وأبو داود حديث رقم: (١٣٨٢) والنسائي: (٣/ ٧٩)، وابن ماجه: (١٧٧٥).

ووجهه مبتل طينًا وماءً.

٢) وعن سالم بن عبد الله بن عمر، أن أباه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول، لليلة القدر: «**إن ناسًا منكم قد أُرُوا أنها في السبع الأول وأُرِيَ ناس منكم أنها في السبع الغوابر فالتمسوها في العشر الغوابر**»[1]. «أي في العشر الأخير من رمضان».

٣) عن عبدة وعاصم بن أبي النجود سمعنا زر بن حبيش يقول: سألت أُبَيَّ بن كعب (رضي الله عنه) فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يُصِب ليلة القدر.

فقال - رحمه الله - أراد أن لا يتكل الناس أما إنه قد علم أنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حَلَفَ لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين.

فقلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر؟

قال: بالعلامة، أو بالآية التي أخبرنا رسول الله (ﷺ) أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها[2].

من هذه الأحاديث الثلاثة نرى أهمية هذه الليلة وعظم أمرها وخصائصها، فهي ليلة يترقبها النبي وأصحابه الكرام فما بالنا نحن.

---

(١) مسلم بشرح النووي: (٤/٣٩٩)، النسائي: (٥/٤٠٨).

(٢) مسلم بشرح النووي: (٤/٤٠٦)، وأبو داود: (٢/ ٥١)، والترمذي: (٣/ ١٦٠)، والنسائي في الكبرى على ما جاء في التحفة: (١/ ١٥).

ورأينا أيضًا في الأحاديث الثلاثة أنها في العشر الأواخر من رمضان ولكنها لم تعين، وهناك أحاديث تدل على أنها ليلة الحادي والعشرين، وأخرى تدل على أنها ليلة الثالث والعشرين، وأخرى تدل على أنها ليلة سبع وعشرين، ومن هنا نقول: لا تحددوا ميعاد الليلة ولكن الأصل هو الاجتهاد حتى نصل لبركة هذه الليلة وذلك ما تعمدته في إيراد الحديث الثالث حتى أقطع على الناس ما هم فيه من مغالطة، وأريد أن أسوق إليكم في هذا الكتاب ماجاء في كتاب محاسن التأويل للعلامة القاسمي وأجعل ما أسوقه إليكم خير خاتمة لهذا الكتاب المتواضع لأني رأيت جمال التنبيه وعظم النصحية وغاية القصد في هذا الكلام، لذا لن أبخل على نفسي ولا عليكم يا أحباب رسول (ﷺ) بنقل ما ذكره العلامة القاسمي راجيًا من الله لي ولكم العلم والعمل، والصدق في القول والفعل والتقرب من الله العزيز الحكيم اللهم آمين.

• جاء في محاسن التأويل:

تنبيهات:

الأول: قدمنا أن ليلة القدر التي ابتدئ فيها نزول القرآن كانت في رمضان الآية ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾. ولا إجماع في تعيين تلك الليلة بل في صحيح البخاري «أنها رفعت» أى رفع العلم بتعيينها وفي رواية فيه: «نسيتها - أنسيتها» من قوله صلوات الله عليه ولذا أرغب في قيام رمضان لما كان من اهتمامه (ﷺ) بالاعتكاف فيه وإحياء ليله وإيقاظ أهله.

وقد ذهب ابن مسعود والشعبي والحسن وقتادة إلى أنها ليلة أربع وعشرين قال ابن حجر: وحجتهم حديث واثلة أن القرآن نزل لأربع وعشرين من رمضان وقد اضطربت أقوال السلف فيها. صحابة ومَنْ بعدهم حتى بلغت أربعين قولاً.

قال الإمام: ثم الأخبار الصحيحة متضافرة على أنها في شهر رمضان ولا نعينها من بين لياليه فقد اختلفت فيها الروايات اختلافًا عظيمًا وكتاب الله لم يُعينها. وما ورد من الأحاديث من ذكرها، إنما قُصد به حث المؤمنين على إحيائها بالعبادة، شكرًا لله تعالى على ما هداهم بهذا الدين الذي ابتدأ الله إفاضته فيهم في أثنائها. ولهم أن يعبدوا الله فيها أفرادًا وجماعات، فمن رجح عنده خبر في ليلة أحياها، ومن أراد أن يوافقها على التحقيق، فعليه أن يشكر الله بالفراغ إليه بالعبادات في الشهر كله. وهذا هو السر في عدم تعيينها. وتشير إليه آية البقرة فإنها تجعل الشهر كله ظرفًا لنزول القرآن، ليذكر المؤمنون نعمة الله عليهم فيه. فهي ليلة عبادة وخشوع، وتذكر لنعمة الحق والدين. فلا تكون ليلة زهو ولهو تتخذ فيها مساجد الله مضامير للرياء، يتسابق إليها المنافقون.

ويحدث أنفسهم بالبعد عنها المخلصون. كما جرى عليه عمل المسلمين في هذه الأيام. فإن كل ما حفظوه من ليلة القدر هو أن تكون لهم فيها ساعة سمر يتحدثون فيها بما لا ينظر الله إليه. ويسمعون شيئًا من كتاب الله لا ينظرون فيه، ولا يعتبرون بمعانيه. بل إن أصغوا إليه

فإنما يصغون لنغمة تالية ثم يسمعون من الأقوال ما لم يصح خبره، ولم يحمد في الآخرين ولا الأولين أثره ولهم خيالات في ليلة القدر لا تليق بعقول الأطفال، فضلاً عن الراشدين من الرجال. انتهى.

وقال الطبري:

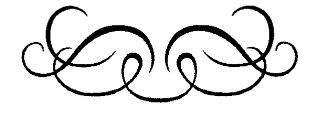
إخفاء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر في تلك الليلة للعيون، ما لا يظهر في سائر السنة. إذ لو كان ذلك حقا، لم يخف على كل من قام ليالي السنة، فضلاً عن ليالي رمضان.

الثاني: حكى الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) قولا عن بعض العلماء: أن ليلة القدر خاصة بسنة واحدة وقعت في زمان النبي (ﷺ) ولعل مستنده ما صح أنها رُفِعَتْ. وقد قدمنا معناه. ولذا ذهب الجمهور إلى خلافه. وعندي أن لا تنافي لأن المراد بالأول هو ليلة نزول القرآن وما كان فيها من التجلي الخاص التي انفردت به - وبالثاني أن ما يوافق تلك الليلة من رمضان كل عام، هي ليلة فيها مزية على غيرها، بفضل اختصت به دون غيرها. وهذا هو السر في قيام رمضان والتماسها في العشر الأواخر منه. أعني إحياء ما ماثلها من الليالي تبركًا وتيمنًا وشكرًا لله تعالى على تلك النعمة والهداية.

فالقائم في ليالي العشر الأخير، أو ما في رمضان مصادفٌ البتة لما ماثل تلك الليلة لأنها منه قطعًا وقد بيَّن الإسلام في تفضيل بعض الأوقات بتشريع اتخاذها موسمًا للعبادة ما ابتدعه رؤساء الأديان الأخرى

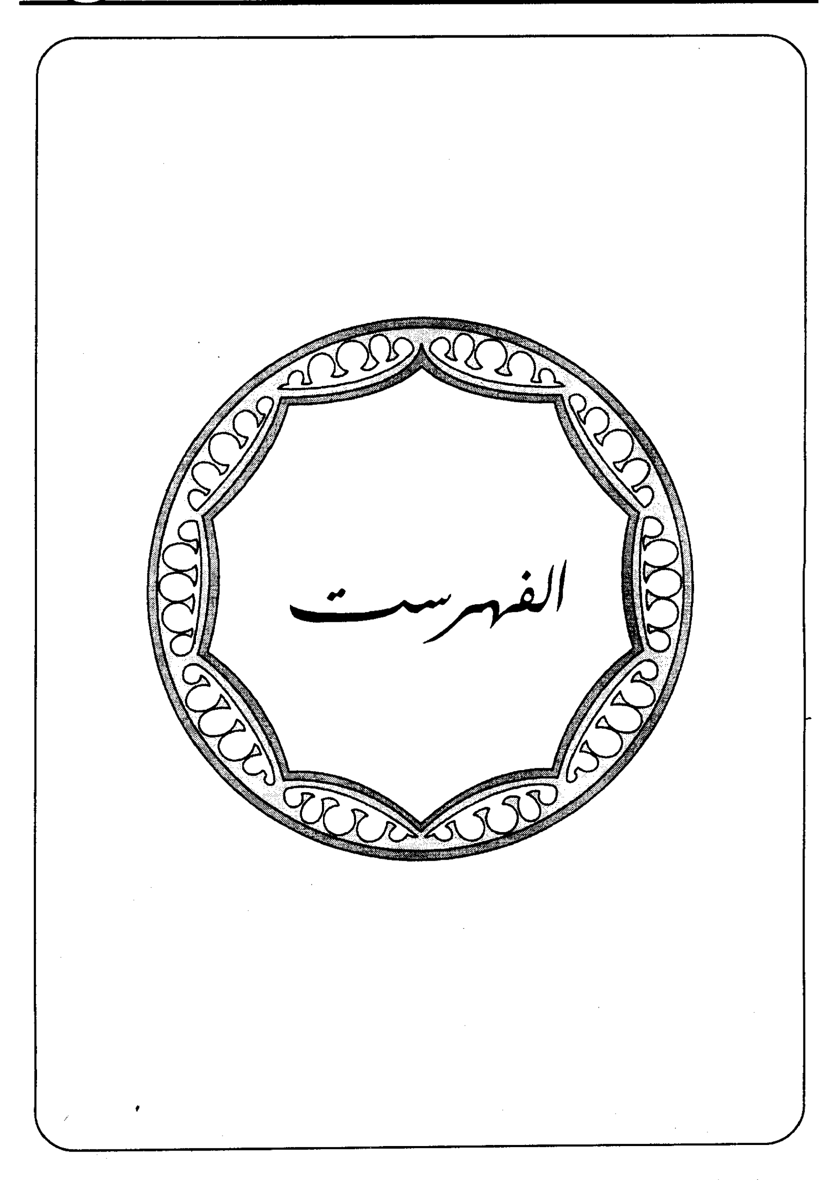
في تذكاراتهم وجعلها أعيادًا، تصرف ساعاتها للبطالة والزينة وهذا، مما يتنافي وحكمة تذكارها. فتأمل الفرق واحمد الله على اتباع الحق.

الثالث: قال الإمام: ما يقوله الكثير من الناس من أن الليلة المباركة التي يُفْرقُ فيها كل أمـرٍ حكيم هي ليلة النصف من شعبان، وأن الأمور التي تفرق فيها الأرزاق والأعمـار، وكذلك ما يقولونه من مثل ذلك في ليلة القدر، فهـو من الجراءة على الكلام في العيب بغير حجـة قاطعة. وليس من الجائز لنا أن نعـتقد بشيء من ذلك مـا لم يرد به خبر مـتواتر عن المعصوم ﷺ ومثل ذلك لم يرد لاضـطراب الروايات وضعف أغلبها وكذب الكثير منها ومثلها لا يصح الأخذ به في باب العقائد. ومثل ذلك يقال في بيت العزة، ونزول القرآن فيه جملة واحدة في تلك الليلة. فإنه لا يجوز أن يدخل في عـقائد الدين. لعدم تواتر خـبره عن النبي (ﷺ) ولا يجـوز لنا الأخذ بالظن في عـقيـدة مثل هـذه. وإلا كنا من الذين ﴿**إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ**﴾. نعوذ بالله. وقـد وقع المسلمون فـي هـذه المصيبة، مـصيبة الخلط بين ما يصح الاعتـقاد به من غيب الله ويعد من عقائد الدين، بين ما يظن به للعمل على فضيلة من الفضائل. فاحذر أن تقع فيها مثلهم[1].



(١) محاسن التأويل: (٧/ ٣٦٤ - ٣٦٥).




الفهرست

• • •


مطابع ...
المنصورة ت / ٢٢٢٣٨٦٧